ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

# The Conflict of Identity between the Self and the Other: A Cultural Reading of Postponed Gallery the Third Painting

**Prof. Faten Abdul Jabbar Al Hayani**

Faculty of Education for Human Sciences / Department of Arabic Language

***Keywords*:**
Conflict of self
Realistic place conflict
Conflict of narrative vision
Conflict of narrative vision

**ARTICLE INFO**

***Article history:***
Received 10 Mar. 2019
Accepted 27 Mar 2019
Available online 6 Dec 2019
Email: adxxx@tu.edu.iq

**ABSTRACT**

This is a research of the novel *Postponed Gallery / the Third Painting*, a brief cultural reading in a human experience containing richness and artistic colors in writing, and the subject of reading is the conflict between self and others. The novel is based on the basic theme of the human being as a supreme value represented by values: spiritual, mental and social and cultural status, as well as the details surrounding the human self-realization and diversity in various forms and drawing a firm spatial identity, and the research came in three dimensions (self-dissociated conflict, and the conflict of the real world, and conflict narrative vision).Our work is based on a narrative text that represents a human experience in which a lot of richness and artistic stylization is in line with the idea to be critically addressed and revealed in literature, namely, the conflict of identity between the self and the other. And social and cultural status, as well as the details of the person surrounding the realization of self-realization and the Nawal in all its forms and draw a strong spatial identity. The narrator builds his novel on the style of instant narration and narrative narration to present the events and elements. These two types of narratives are used by the narrator to reveal the past and present of the stark personality of the events. This is done by relying on the self-narrator who speaks in the language of all other characters, expressing their thoughts, Taking the self-questioning and questioning, so-called internal dialogue technique reveals the conflicts and crises, dreams and disappointments that fall under (the hero) or (the main character).

© 2019 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.26.10.2019.05

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

## تنازع الهوية بين الذات والآخر قراءة ثقافية في رواية ( معرض مؤجل / اللوحة الثالثة )

**أ.د. فاتن عبد الجبار الحياني/ كلية التربية للعلوم الانسانية/ قسم اللغة العربية**

**الخلاصة:**

هذا بحث في رواية ( معرض مؤجل / اللوحة الثالثة )، وهو قراءة ثقافية موجزة في تجربة انسانية تحتوي على الثراء والألوان الفنية في الكتابة، وموضوع القراءة هو الصراع بين الذات والآخرين؛ إذ

تقوم الرواية على ثيمة أساسية تتلخص بالإنسان بوصفه قيمة عليا تُمثَّل من خلال القيم الروحية والعقلية والمكانة الاجتماعية والثقافية، علاوةً على ما يحيط بالإنسان من تفاصيل تتغيّا تحقيق الذات والنوال بشتى أشكاله ورسم هوية مكانية راسخة، وجاء البحث في ثلاثة محاور هي ( تنازع الذات المنشطرة، وتنازع المكان الواقعي، وتنازع الرؤية السردية ).

تشتغل قراءتنا على نص روائي يمثل تجربة إنسانية فيها الكثير من الثراء والتلون الفني الكتابي، الذي ينسجم مع الفكرة المراد معالجتها نقديا والكشف عنها أدبيا وهي تنازع الهوية بين الذات والآخر؛ إذ تقوم الرواية على ثيمة أساسية تتلخص بالإنسان بوصفه قيمة عليا تُمثَّل من خلال القيم الروحية والعقلية والمكانة الاجتماعية والثقافية، علاوةً على ما يحيط بالإنسان من تفاصيل تتغيّا تحقيق الذات والنوال بشتى أشكاله ورسم هوية مكانية راسخة.

يرتكن الروائي في بناء روايته على اسلوب السرد الآني والسرد الاستذكاري؛ لعرض الأحداث والعناصر، وهذان الصنفان من السرد وظّفهما الراوي من أجل الكشف عن ماضي الشخصية الساردة للأحداث وحاضرها، ويتم ذلك بالاعتماد على الراوي الذاتي الذي يتكلم بلسان كل الشخصيات الأخرى معبرا عن أفكارهم ورؤاهم ودواخلهم، متخذا من مسائلة النفس واستجوابها، بما يعرف بالحوار الداخلي تقنيةً تكشف عن الصراعات والأزمات والأحلام والخيبات التي يقع تحت وطأتها ( البطل ) أو ( الشخصية الرئيسة ).

تخضع الهوية لكثير من التحديدات والتعريفات على وفق رؤى اجتماعية وتاريخية وفلسفية، وتعد آلية اثبات وجود فردية وجماعية في الوقت نفسه، إن الهوية هي ( **إحساس الأنا بالانتماء سواء أكانت هذه الأنا فردية أم جماعية فإنه لا يتحدد إلا بالآخر** )(1) وتأتي نتيجة تضافر مجموعة من الوشائج التي تمتزج وتتولد منها أبعاد تبصر إحساس الآخر بالأنا، والأنا بالآخر، وقد تتحدد هذه الوشائج بصور اجتماعية واقتصادية وثقافية تُظهر بعدا يمثل علاقة الذات بذاتها، وبعدا يمثل علاقة الذات بالموضوع المعرَّف بالعالم الطبيعي والاجتماعي ( المحسوس )، وبعدا يمثل علاقة الأنا بالآخر.

فوجود الذات يتحدد بالفعل الانساني الذي ينحصر بين الزمن ( الماضي والحاضر والمستقبل )، وبين ما يسوّغ له الثبات والتحول في آن معا؛ فالذات أو الأنا إنما يتجليان في ( **حجم الصراع بين الانسان والانسان** )(2)، وهو صراع يأخذ أوجها عدة فقد يكون فكريا، أو مكانيا، أو عاطفيا، أو نفسيا... الخ، ويتمظهر على شكل تنازعات تستتر حينا وتبدو واضحة حينا آخر، مع بقاء سمة التصارع في خفاءها وتجليها.

وتأتي صورة الآخر ( **مرتبطة بالأنا ضمن فعالية جدلية لا تقبل الخطأ** )(3)؛ ذلك أن مسالة الأنا والآخر تمثل إشكالية سردية تتنوع بتنوع وجهة النظر التي يتمتع بها الروائي، لذلك نجدها تتميز بتنوع وافر في الكتابات العربية، وفي الوقت ذاته تشكل ( **ثيمة محورية مهمة في الخطاب الروائي العربي** )(4)، لذلك كان لزاما أن يكون أول محاور قراءتنا البحثية الاشتغال على بيان هذه الاشكالية، ليرتدي العنوان زي تنازع الذات المنشطرة.

**المحور الأول: تنازع الذات المنشطرة**

أهم ملحظ في النص أن ( الأنا ) – بمعنى الذات الراوية – قد انشطرت إلى ذات أخرى، صحَّ أن تكون هي ( الآخر )، وقد تأتى ذاك الانشطار كنتيجة طبيعية للتغيرات الخارجية المحيطة بالذات، فظهرت عبر علاقة ( الأنا/ الذات ) بالأنا بأشبه بعملية الاستبطان، فكان أن تعددت صور الأنا عاطفيا وانفعاليا بالاستناد إلى الطبيعة التي يؤلفها الجدل بين عاطفتين أو أكثر، وهي طبيعة يمكن تلمسها في تلك المواجهة والمصادمة الحاصلتين؛ فالانشطار في الذات يكون في مواجهة الذات لذاتها ليتم البوح والاعتراف، ويزخر هذا الانشطار بحمولات دلالية كثيرة تختص بالنفس والعاطفة والثقافة.

يبدأ الجدل مع الذات في أول صفحات ( اللوحة الثالثة والعشرون )؛ إذ تعاني الذات من صراع حاد تمخضت عنه دفقات من المشاعر المتنوعة مثل الخوف والندم والتحسر مع شائبة من انكسار ظاهر ( **وبدأت أسأل نفسي وأعاتب روحي بما أشاهد أمامي: من يكون هذا الشخص؟ أتى من ألمانيا حتى يصور مقبض باب ونحن أصحاب هذا التاريخ وهذا البلد لا نعرف قيمة ما لدينا، وأنا الفنان أريد ترك هذا الكنز الجمالي والحضاري من دمشق القديمة والسفر لأبحث عن الفن في شوارع أوربا** )(5)، إذ أن الذات وهي لا تزال داخل حدود الوطن تقع في صراع ثقافي حضاري مؤسس في ذاتها على الوطن وما يحمله من ملامح التاريخ والحضارة وهو ابن هذه المدينة المعروفة بتاريخها من قبل الغريب قبل ابن البلد وبين رغبته في مغادرة البلد لتحقيق حلمه في الفن؛ فحب الوطن والسعي لتحقيق الحلم من أجل الذات كانا الشحنة التي وقرت في شخصية الراوي عبر المساحة المرصودة للرواية، وكان الوطن يصحبه دوما ينساب معه بعيدا مثل حلمه اللذيذ: ( **جمعت روحي وشوقي وذكرياتي في حقيبة اسمها الوطن، ووضعتها في قلبي خوفا عليها من التفتيش** )(6)، وفي هذه النقطة بالضبط يبدأ تنازع قهري في طويّة الراوي لتنبثق عنه عفوا ملامح انشطار الذات بوتيرة تزيد كثيرا عن الأيام الأولى من سفره وحطِّ رحاله في أميركا، ذلك البلد الذي مثّل عنصرا مكانيا أسهم كثيرا في استحضار بلده في الذاكرة.

بدأ الحنين إلى الوطن على الرغم من عدم انسلاخ اليوم الأول على وجوده في أميركا، وهو حنين قد يبدو مبهما بالنظر إلى اعتلاج الشعور واستعار الغربة ( **لكن لا أعرف إلى من، وهذه المفارقات في الحياة بين الوطن وأميركا بدأت تشوه حنيني إليه لكنها زادت حبي للناس في الوطن المسكين الذي يحمل هموم العالم كلها في داخله وكانت هذه من الضرورات الوطنية** )(7)، وهناك تقع الذات في مأزق الانفصام في خضم مشاعر متناقضة تمليها ضرورة الاغتراب التي تحاول كسب القوة من المكان الذي سافر إليه؛ فأميركا لدى الراوي إنما هي صورة القوة: ( **انتابني إحساس مثل كثير من الناس هنا هو انفصام شخصية في عقل المهاجر إلى أميركا، إنك تحقد على أميركا لكنك بحاجة لها، لا تستطيع التخلي عنها، تحبها وتكرهها في الوقت نفسه، لكنك تحب الانتماء إلى هذه القوة** )(8).

الصراع الذي بدأ يتضح بشكل جلي في الذات الراوية، وذلك بتنازع رغباته ومشاعره عن طريق نزوع الروح إلى الماضي أو الحاضر أو المستقبل على اختلاف الحدث أو الموقف، وهي منازع تؤكد استمرار حالة الجدل مع الذات: ( **وتطور العذاب عندي، وتطورت أمراضي النفسية، وكبر مشروعي الشخصي،**

**أريد الحصول على الإقامة والجنسية الأميركية، أريد أن أنزل في مطارات وطني، وأتمشى في حارات دمشق القديمة، وأسهر مع أصدقائي وأشتم أمريكا وأنا أحمل الجنسية الأميركية ..... هذه هي الأمراض التي يعيشها الانسان مع نفسه** )(9)، يتجلى تنازع الذات وصراعها من خلال المشاعر المتناقضة والرغبات المتضاربة حين تقع في فخ تحقيق الحلم من جهة وبين حب الوطن ورغبة العودة إليه من جهة أخرى، ويكون ذلك باشتراط أن تدرك الذات هويتها، وتدرك الواقع الذي تصطدم به في بلدها وفي أمريكا: ( **إنك تتصارع مع الحلم والوهم، وتتصارع مع الكذبة لتقنع نفسك أنها حقيقة، لكن العودة الآن هزيمة، يجب أن أصبر قليلا وأحلم كثيرا، فقرار العودة موجود في روحي إلا أن الخوف من العودة يسكن شخصيتي المهزومة التي أحبت الوطن وما زالت تخاف منه أحيانا** )(10)، إن المواجهة والصدام اللذين يحتدمان داخل الذات بسبب فقد الأمل في تحقيق الحلم يشوه كل الصور الجميلة والعذبة في الحياة ويحول مشاعر الحب إلى كره لأنه يصبح عامل ضعف لا قوة: ( **للأسف .. تكتشف أن الحب والأشياء الجميلة داخل الانسان تجعل منه ضعيفا جدا أحيانا، وأنا الآن أعيش قمة ضعفي الداخلي بسبب الشوق والحب لوطني وأسرتي** )(11)، ففي المساحة الكتابية التي بدأت فيها الذات المنشطرة تتصارع وتنازع وتعيش حالة من الشد والجذب بين الأنا التي تمثل الانتماء إلى الوطن وبين الأنا ( الآخر ) المتمسكة بحلمها وقناعتها بأن اميركا والحصول على الجنسية والغرين كارت هي مصدر القوة وميناء الأمن والمخلص من الخوف والضعف اللذين يلازمان الراوي عندما تعود به الذاكرة إلى بلده على الرغم من حبه للوطن ومدى محاولته اثبات انتمائه له.

**المحور الثاني ... تنازع المكان الواقعي**

إن تقييم ( الآخر ) حضاريا وثقافيا يقوم على عمق ( الأنا ) وسعتها أو على سطحيتها من خلال التفاعل وكيفية النظر إلى الواقع، ويتحدد ذلك من خلال صورة ( الآخر ) المتأسسة أصلا من بنى ايديولوجية أو مواقف مشهودة، وكثيرا ما كان المكان عنصرا مهما من عناصر خلق النزاع الفكري والعاطفي في الذات ( الأنا ) ويكون الانفعال بوصفه مهمة تتوجه بحسب ذلك المكان والمحرك الأساس في خلق تنازع فكري عاطفي بين الواقع والواقع الآخر، بين وطن مستلب ووطن مستعار، لا سيما أن المكان ( **أداة فنية لا يستغني عنها الروائي في إضفاء سمة النكهة الخاصة، بل إن المكان يستأثر ببطولة الرواية في بعض الأحيان حين يكون هدف الرواية وغايتها** )(12)، لا يمكن التعامل مع المكان كعنصر مكمل من عناصر القص، وذلك لأنه يمثل علامة استقبال سردي ومعطى ثقافيا تتجلى فيه ضرورة التوظيف فهو ( **إحدى هذه الظواهر التي تحولت في الفكر الانساني الممتد إلى حقيقة عالمية تدرك بوصفها معطى ثقافيا** )(13)، لقد تميز المكان الواقعي الذي كان العنصر البارز في الرواية بأنه يرتبط بالذات الراوية تشكيلا وتأويلا بالبعد الذاتي والنفسي لها، ويتغلف الحضور المكاني هنا بصراع متناقضات لعوالم مكانية، فالبطل الذي ينتمي إلى بلده الأكبر سوريا وعاصمتها دمشق وحارته القابون التي تنضوي تحت مظلة الفقر والجوع والخوف والضعف عندما أراد أن ينتمي إلى هوية فنية لواقع آخر

متمثلا بأمريكا – الصورة المناقضة للصورة الأولى – وقع في شرك المقارنة بينهما كواقعين مختلفين مما أدى إلى أن يتنازع الواقعان كمكانين عند أنا الراوي ويمثل كل منهما الأنا والآخر.

يتجلى حلم الذات الراوية في أن يصبح فنه معلنا معروفا وأن ذلك لن يتحقق إلا بواقع مكاني آخر يحمل ملامح الحداثة والانفتاح الذي تمثله أميركا، على الرغم من قساوة ذلك الحلم الذي أصبح ملازما لمكان وحيد لا خيار ولا بديل عنه: ( **علي أن أخرج من القابون إلى عالم الأرصفة، وعالم ناطحات السحاب وإلى عالم الشهرة الفنية ونجوم الفن** )(14)، ( **كان حلما قاسيا ومفاجئا لأنني انتقلت من القابون إلى نيويورك فورا هذه الرحلة كانت كبيرة علي وعلى عقلي وحلمي** )(15)، إن المفارقة المكانية التي وقعت فيها الذات الراوية كانت الدافع الأول لخلق الصراع النفسي الذي أدى إلى أن تتشظى قناعات الذات بين عالمين مختلفين أحدهما ساكن بكل ملامحه والآخر متحرك عمرانيا وتكنولوجيا، وتعقد المقارنات بينهما وتخلق أزمة الأنا والآخر وتنازعهما مكانيا: ( **قبل ساعات كنت في القابون، ما زالت الشوارع هناك ترابية لم تزفت بعد، وربما ستنتظر بعد عشر سنوات أخرى ولا هاتف بالحارة إلا في بيتي والآن ناطحات السحاب** )(16)، ( **التلفزيون الموجود في الغرفة كان بالنسبة إلي صدمة تكنولوجية** )(17)، فالمفارقات والمقارنات بين أمريكا والقابون ترامت في ذهن الذات الراوية وتداعيات الذاكرة التي تكتنز بصور الوطن الكبير والوطن الصغير وواقعه الذي يتمثل بالرائحة والشخصيات والملامح المكانية والحضارية والفكرية قد أججت الحنين إليه وخلقت الفجوة النفسية في الذات الراوية وخلقت من أمريكا آخر: ( **بدأت الغربة تتوسع في صدري وتصرخ وتسيطر على أنفاسي الداخلية وتحول معها كل شيء جميل إلى عقوبة وكل ما هو مزعج في وطني إلى جمال يعيش معي هنا لا أعرف كيف سأستمر....** )(18)، ( **البريد هو العصب الوطني الأميركي، أما في القابون فلم أرَ ساعي البريد إلا مرة واحدة في حياتي** )(19).

خلق الفارق الواقعي بين المكان الأول الذي نشأت فيه الذات الراوية وتجذرت بوصفها امتدادا له، وبين المكان الثاني ذلك العالم الجديد بكل تفاصيله وملامحه الحضارية والعلمية والفكرية والجمالية، صراعا نفسيا يوازي بقوته قوة المكان ضعفا وضيقا به: ( **الأمكنة هنا كلها كبيرة، الشوارع طويلة وعريضة، المجمعات التجارية ضخمة، السماء واسعة، لكن رغم ذلك بدأت أشعر أن الأمكنة والشوارع والمجمعات والسماء ضيقة، ولم تعد تتسع لضجري وهمومي وحزني** )(20)، بقيت الذات الراوية مستغرقة في ماضي الواقع المكاني روحيا، ومنفصلة عن الحاضر المكاني بكل تفاصيله، مما جعلها في جدل مستمر مغلف بحزن يعادل مسحة الاغتراب المسيطرة على النص والذات معا: ( **اشتقت إلى فقراء بلدي واشتقت إلى صوت الأطفال وصوت البائعين الجوالين واشتقت إلى رائحة دمشق القديمة وإلى رائحة البذور والعطور والتوابل وصوت المآذن آه يا دمشق مهما حاول الانسان الهرب منك مهما حاول أن ينساك فلن يستطيع .....كل شيء موجود في أميركا إلا روح الانسان لم أجدها حتى الآن وخصوصا روحي** )(21).

سيطرت بنية الاسلوب الخبري على النص، رغبةً من الذات الراوية في البوح والكشف من أجل تعميق التجربة ولحالة الفقد الذي يمثل إحدى حالات الصراع الذي وقعت فيه الذات الراوية؛ إذ أصبحت المقارنة تأخذ صورتين؛ الأولى النظرة الايجابية وثانيتها النظرة السلبية، وتأخذان موقعهما في الواقعين كصراع ينشب بتغير المكان والواقع: ( **بدأت المقارنة والمفارقة تعود إلى ذاكرتي بين الوطن وأميركا عشنا في القابون لم أسمع بحادثة قتل أو سرقة واحدة .....** )(22)، وتحاول الذات الراوية أن تتحرر من قيد الصراع الذي خلقه الواقع المكاني الجديد عن طريق خلق واقع مكاني صغير أليف محبب ومقرب إلى الروح، والذي يمثل الهدف الحقيقي للشخصية في غربتها بعد أن عاد إلى واقعه الأصيل ليجد روحه وذاته التي شطرتها الغربة وجعلتها مادة لتنازع الرغبات والأحلام والواقع: ( **هل تعلمين يا زوجتي، هذه الغرفة الصغيرة التي أمامك والتي سوف تعود إلى مرسم غدا أجمل من كل شواطئ وشوارع ومتاحف وناطحات السحاب وملاهي ورفاهيات أميركا؟ هذه الغرفة الصغيرة هي قصر يتسع لكل أحلامي وأوجاعي وأحزاني، بعكس أميركا فرغم كرهها فإنها لم تتسع لحلم صغير يعيش معي منذ طفولتي وهو أن أكون فنانا** )(23).

**<u>المحور الثالث ... تنازع الرؤية السردية</u>**

تعيش الذات ( الأنا ) الانفصال والتشظي والتشتت في الانتماء فنجدها تتأرجح بين انتماء ايديولوجي أو ثقافي، يمثل إرثا خفيا تتكشف في ملامحه عقليا وعاطفيا، وبين أفق فكري وافد يمثل نقطة الصراع، فالرواية كفنٍ لا يمكن للواقع أن ينفك من بين كفتيها، لأنها ( **أكثر صلة بالمجتمع من الأشكال الأدبية الأخرى وهي بالدرجة الأولى صياغة فكرية لمعطيات الواقع وفي الدرجة الثانية صياغة جمالية لهذه المعطيات** )(24)، يشير ماركس إلى الماضي إشارة مهمة جدا مؤكدا على أن الانسان يبقى حبيس أفكاره السالفة حتى في محاولة التحرر منها ( **إن وعي الماضي يثقل، كالكابوس، على عقل الأحياء** )(25)، ومن غير الطبيعي أن نجد انسانا يمتلك حساسية الفنان ولديه من الأحلام والرؤى الكثير، ولا يثقله الخزين والموروث الفكري الذي ورثه ثقافيا وبيئيا.

تكشف الذات الراوية عن هوية رؤاها التي تجاذبتها أزمة الانسان فأصبحت بين مد وجزر أثارا تلك الأزمات الضاغطة والمتغيرات لتكشف عن موروث ديني مسكوت عنه غير معلن؛ وذلك لأن الشخصية الساردة للأحداث كانت تعتنق الديانة المسيحية: ( **أما أنا الشيوعي والعلماني فبدأت الآن أحث عن الله وعن بعض الكلمات الدينية التي أعرفها حتى أرددها، وقلت: يا الله احمني والطف بي: لم أقل يا ماركس ويا لينين احمني ولم أذكر شيئا من كتب رأس المال وجدت أخيرا أنني أملك موروثا دينيا دون علم لكنه لم يظهر عندي إلا وقت الشدة** )(26)، كانت جمل الاستفهام التي أخذت مساحة كبيرة من مساحة السرد ( أسأل نفسي ...) بشكل جلي وواضح امتدت على ورق الرواية لها دلالة واضحة وجلية على الجدل الملغوم بالأفكار المتناقضة والمثيرة للشك واليقين والبحث المستمر عن اجابات قد تسهم في إعادة التوازن النفسي الذي يقود إلى التوازن الفكري والذي يمكن أن يعيد ملامح الصورة الفكرية للمجتمع

والواقع ( القابون، دمشق، سورية ) بكل حمولاتها التاريخية والانسانية والاقتصادية والفكرية والدينة، والتي شوهتها صور الصراع والتشظي اثر صدمة الواقع الأميركي بكل تفاصيله: **( وهنا سألت نفسي: هل كان ماركس على حق في محاربة الرأسمالية العالمية، أم هذه هي الدول الذكية التي تعرف كيف تطعم شعوبها ..... وجدت الانسان هو أرجوحة اللعب عند الأنظمة، وأن لقمة العيش ورغيف الخبز هما المادة الحافظة لبقاء الأنظمة، وكيف يتم توظيفها حتى يستمر المواطن في شكرها )**(27)، **( عاد الصراع إلى ذاكرتي الوطنية، وعاد الحزن، وعادت الأسئلة عن سبب ما عانيناه، والحوادث التي حصلت معنا في بداية الثمانينات خلال الحصار الاقتصادي على سورية..... لم أعد أعرف من هي الدول التي تحب شعوبها أكثر على نحو أفضل وبدأت أفكاري تتشتت... )**(28)، وبأسلوب الحوار الداخلي تعود الذات الراوية التي تواجه الآخر بفكر يناقض ما هو مجسد في الواقع وكيف أن الآخر يصادر حق الأنا فكريا وانسانيا: **( طوال حياتي كنت أقول لنفسي: هذا الكون ليس ملك الانسان فقط، بل هو ملك كل كائن حي فيه، لكن أنانية الانسان بدأت بإلغاء الآخر، حتى الانسان بدأ يلغي الانسان الآخر المخالف لرأيه )**(29)، فالذات المنشطرة التي صارت رهينة تنازع روحي ومادي ونفسي وفكري وأصبحت ضحية غواية يمارسها الواقع الرأسمالي الصادم الذي كسر توقع ( الأنا ) الساردة بما فيها من رغبات وأحلام ورؤى: **( أعيش في أميركا هذا العالم الذي يطحن ويجرف العواطف التي تقف أمامه من دون اذن أو رحمة مجتمع لا يفهم إلا لغة الدولار.... الحب مرهون بالدولار الفن مرهون بالدولار شوق الوطن مرهون بالدولار.... المجتمع الأميركي يصنع منك ومن فكرك مشروعا غنيا بداخلك .. مشروعا ماديا بحتا، ويكبر لك متعة الحياة ويقوي غرائزك وشهواتك المادية، لكن يحرمك من متعة بساطة الحياة..... ويصعب عليك الحصول على الدولار وبعد فترة تكتشف أنك أصبحت أسير المجتمع المادي وأسير الدولار وأسير ما يحب الآخر وليس ما تحب أنت )**(30)، وكان للتغذية الفكرية والبيئية التي تغذت بها الذات الراوية والتي كان مصدرها الأب والأم والمجتمع والثقافة والفن وجاء الآخر ( أميركا ) مصدرا غيريا يختلف بكل تفاصيله، فشكل عند الذات أزمة فكرية جعلها تتخبط وتختلط بين هذا وذاك إذ نتجت عن هذا التخبط والاختلاط صور من التحولات على مستوى الرغبات فيما بعد فأي فكر هذا الذي سيؤمن به ويكون له بر أمان ومنجى؟ : **( أبي رغم ماركسيته وعلمانيته كان يحب الدين الاسلامي كثيرا .... )**(31)، **( أحيانا نشعر أن الشيء الذي ندعيه تخلفا في حياتنا هو الجانب المريح لنا، وإلى حقيقة انسانيتنا بينما الجانب الثقافي والحضاري هو المتعب في حياتنا الانسانية وهو الذي يجعلنا نهلك أنفسنا في البحث عن المتعة وأحيانا المتعة تعيش بجانبنا أو حولنا ولا نشاهدها نذهب لعالم آخر لنبحث عنها وهذا الاحساس والشعور بالمعرفة توصلت إليه الآن )**(32).

البوح الغاضب الثائر لكن بدون نصر لهذه الثورة والذي تمارسه الذات الراوية بوح روحي ومادي ونفسي إذ وقعت بين دفتي رحى طحنت المادة بالروح والحب بالخوف وكل سلبي أصبح يطحن الإيجابي داخل هذه الذات: **( أنا غاضب جدا من روحي ومن ثقافتي ومن انسانيتي التي لا أستطيع الدفاع عنها قط وتنازلت عنها فورا حتى البساطة التي عشتها وتغنيت بها بدت كذبة لم تكن حقيقة في داخلي.**

**استحقرت روحي، واستحقرت ثقافتي وفني، استحقرت شيوعيتي لأنها لم تقف معي في محنتي وضعفي في أميركا، تخلت عني بسرعة أنا الذي عشت بين العصافير والأزهار وبين الحب والطيبة كانت قدماي تقدسان ثرا الوطن وعصافيره وأناشيده ونساءه كان جسدي يتعمد بنهر يزيد كل يوم ويتنشف بهواء الوطن )**(33).

التحول الرؤيوي عند الذات الراوية وهي تحاول القبض على هويتها أضاع عليها ( الذات ) الطريق في تحديد هويتها وذلك لهيمنة هوية الآخر على ( الأنا/ الذات ) على أحلامها في الفن والشهرة والغنى والاستقرار النفسي والفكري: ( **إنك تبحث عن وطن وهمي تريد صنعه من الدولارات، وطن ليس له رائحة ولا طعم ولا لون ولا ذاكرة، هنا يبدأ الصراع مع الذات ومع الزمن الذي يمر من دون أن يزرع ذاكرة في روحك. بدأت البحث عن شخصيتي الحقيقية، وعن هويتي الروحية التي ليس لها مكان هناك، ولم أجدها قط بين ملايين الناس الذين يبحثون بلي عن هوية، ولن أجدها بين ملايين السيارات وآلاف الاتوسترادات وعشرات ناطحات السحاب، أنا على ثقة أنني لن أجدها هنا أبدا )**(34)، وتستمر منظومة الأنا المنشطرة _ حتى بعد العودة إلى البلد الأم والحاضنة المكانية الأصيلة الصغيرة ( القابون ) _ فكريا تتصاعد وتتواتر على لسان الذات الراوية؛ إذ يتجلى التنازع في الرؤية السردية من خلال الحالة المتمثلة بالقلق والخوف والتشتت يقابلها منظومة فكرية ضاغطة في المجتمع تعي التخلف والطائفية والتفاوت الطبقي المحدد جغرافيا: ( **الغريب والمحزن أنك تبحث عن السعادة في هذا الوطن بالأمتار والمسافات والحارات والشوارع، لا توجد ثقافة واحدة في الجغرافيا الوطنية، القابون تبعد عن حي التجار مئات الأمتار لكن في نظر المجتمع أن البشر الذين يسكنون في التجار مختلفون عن الذين يسكنون في التجارة وهذه المشكلة بالجغرافيا الثقافية تدل على أمراض الوطن الانسانية )**(35)، ( **وسوف تقضي حياتك وأنت قلق الفكر، مشتت الذهن، عصبي المزاج، محامي دفاع لا تعرف ما هي الحرية، مهمتك فقط الدفاع عن طائفتك كما يحصل مع الطوائف، خوف وتخلف لا تستطيع الهروب منها مهما كنت عاقلا وفهيما لأن صوت المجتمع أقوى من عقلك وهذا ما حصل معي الفنان العلمي )**(36).

الذات الراوية على امتداد مساحة السرد الكتابية لم تغفل شخصيتين تكادان أن تكونا محوريتين ومؤسستين لشخصية ورؤى السارد ومؤثرة وفاعلة فيه إذ تعد كل واحدة منها باثة وموجهة لما في حياته اجتماعيا وفكريا وثقافيا وعاطفيا، وهما تمثلان الانتماء والهوية الوطنية على اختلاف رؤاهما وتناقضهما حياتيا، وهما الأم والأب المهد الأول لبناء الفكر الانساني: ( **كان موقفها كالعادة، العقل والحكمة بعيدا عن العواطف والمظاهر، وعن الكذب الاجتماعي قالت: الذي لا يستطيع العيش مع جاره ويحبه أو يتآلف معه ويتعلم منه ويؤثر فيه أخلاقيا ويصبح جزءا من ذاكرته الانسانية والوطنية لا يستطيع أن يعيش مع أحد حتى لو كان ابن طائفته... )**(37)، أما الأب الذي احتل وجوده السردي وتحولاته الفكرية نتيجة الأزمة النفسية التي ولدها المرض الصفحات في الربع الأخير من الرواية وبدأت تتشكل صورة أخرى مثلت تحولات رؤى سردية وأصواتا تنشد الثقافة الماركسية تارة والفن تارة أخرى والحب بعد أن كان له صورة أخرى: ( **يعشق العظمة ويعشق الظهور وعندما يعرّف أصدقاءه بي يقول: هذا ابني المهندس**

**التشكيلي لم يلفظ عبارة فنان تشكيلي وعندما كنت عضو مجلس محافظة كان مقتنعا أنني المحافظ...** )(38).

إن هوية الذات الراوية وتنازعها بين الأنا والآخر الذي كان متأججا منذ مطالع الصفحات الأولى للرواية متمثلا بالشخصية الراوية تلك التي أحكمت سيطرتها على مفاتيح ومغاليق السرد على مساحة الورق وكانت تبث أحلامها في الفن والوطن والحب والسلام والحلم الأكبر من هذه الأحلام تحقيق الهوية الفنية في إقامة معرض أو تلوين دمشق بالألوان والحفظ على روح الفن عند الأطفال والكبار امتدت له اليد ليصبح حقيقة ولتكون الخطوة الأولى لإثبات الهوية واثبات الذات أمام الآخر الذي تجسد بكل الصور ( الفقر، والتخلف، والطائفية، وأمريكا، والمادة، والغربة، .... ) وكل ما يندرج تحت منظومة الآخر الذي ولد الصراع والتنازع داخل الذات الراوية ( البطل ) إذ تحقق الحلم على يد المدير الذي جاء ليمسك المؤسسة ويديرها ويكون شريكا في تحقيق ما أجل من أحلام الفنان: ( **قلت لصديقي الأديب معاون مدير التربية: عندي مشروع في حياتي، وهذا مشروعي الانساني والوطني ومشروع أبي، أن أزين شوارع دمشق كلها وأحول الفن إلى ابتسامة في كل مكان من دمشق، هذه المدينة التي أحبها الجميع بالكلام فقط، ولا سيما الفنانين التشكيليين، لم يشاهدوا في دمشق إلا الحارات القديمة فقط، لكن دمشق أكبر من حاراتها وأكبر من شوارعها وساحاتها، دمشق الانسان والذاكرة والتاريخ والمستقبل يجب يا صديقي أن تفرح دمشق بالألوان يجب أن تضحك شوارعها يجب أن ترسم ابتسامة على وجه كل طفل يمر في الشارع أمام مدرسته. دمشق القديمة جميلة لكن الأجمل هو الانسان الذي يعيش فيها وهذا الانسان يحتاج إلى أمل يحتاج إلى حب وفرح ..... قال: يا صديقي أنت فنان وأنا أديب وهمنا واحد هو الانسان أنت بحاجة إلي وأنا بحاجة إليك والانسان بحاجة إلينا معا، مشروعك هو مشروعي وهذه فرصتي في هذا المكان لأفعل شيئا للوطن، يجب أن نفعل ما بوسعنا كي يعيش الفن والجمال والحب مع أطفالنا في مدارسنا، من هنا تكون البداية...** )(39)، من هنا تكون بداية الأوطان بالفكر النقي والحب والفن والجمال هذه المساحات التي تخاطب العقل والقلب والروح وتبني الداخل الانساني وتشكل هويته وتؤكد انتمائه لتغلق أي قناة يمكن أن تؤدي به إلى أي نوع من أنواع التنازع الروحي أو العقلي أو الثقافي أو الاجتماعي.

## الهوامش

1- بول ريكور .. الهوية والسرد، حاتم الأورفلي، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، 2009، ص: 26.

2- سرد الآخر ( الأنا والآخر عبر اللغة السردية )، صلاح صالح، المركز الثقافي العربي في بيروت، ط1، 2003، ص: 8.

3- جماليات التشكيل الروائي – دراسة في الملحمة الروائية ( مدارات الشرق لنبيل سليمان )، د. محمد صابر عبيد د. سوسن البياتي، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2008، ص: 92.

4- المصدر نفسه، ص: 28.

5- الرواية / معرض مؤجل اللوحة الثالثة، هزوان الوز، دار الفارابي – بيروت – لبنان / ط1، 2019، ص: 26.

6- م. ن، ص: 35.

7- م. ن، ص: 61.

8- م. ن، ص: 63.

9- م. ن، ص: 134.

10- م. ن، ص: 141.

11- م. ن، ص: 165.

12- الأنثى ومرايا النص – مقاربة تأويلية لبلاغة الخطاب النسوي المعاصر، وجدان الصائغ، منشورات دار نينوى للنشر والتوزيع، ط1، دمشق1999، ص: 211.

13- حساسية النص القصصي – قضايا وشواغل سردية، فيصل غازي النعيمي، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت دار الأمان، ط1، 2012، ص: 76.

14- الرواية، ص: 36.

15- م. ن، ص: 42.

16- م. ن، ص: 43.

17- م. ن، ص: 56.

18- م. ن، ص: 86.

19- م. ن، ص: 98.

20- م. ن، ص: 113.

21- م. ن، ص: 142.

22- م. ن، ص: 176، 177، 178، 179.

23- م. ن، ص: 235.

24- البناء الفني في الرواية العربية في العراق – بناء المنظور –، د. شجاع مسلم العاني، دار الشؤون الثقافية العامة، ج3، 2011، ص: 77.

25- الاحساس بالنهاية – دراسات في نظرية القصة –، تأليف عناد غزوان و جعفر صادق، ط1 ، 1983، ص: 128.

26- الرواية، ص: 40.

27- م. ن، ص: 61، 62.

28- م. ن، ص: 91، 92.

29- م. ن، ص: 66.

30- م. ن، ص: 113، 114.

31- م. ن، ص: 123.

32- م. ن، ص: 134.

33- م. ن، ص: 151.

34- م. ن، ص: 175.

35- م. ن، ص: 292.

36- م. ن، ص: 175، وينظر ص: 288.

37- م. ن، ص: 288، وينظر ص: 313، 325.

38- م. ن، ص: 327، وينظر ص: 139، 353.

39- م. ن، ص: 370، 371.

## Almasadir


1. bul rykwr .. alhuiat walsurd , hatim al'uwrfli , dar altanwir liltibaeat walnashr , t 1 , 2009 , s: 26.
2. sirid alakhar (alana walakhar eabr allughat alsrdy) , salah salih , almarkaz althaqafiu alearabiu fi bayrut , t 1 , 2003 , s: 8.
3. jamaliat altashkil alriwayiyu - dirasat fi almulahamat alriwayiya (mdarat alshrq linabil suliman) , d. muhamad sabir eubayd d. susin albayati , dar alhiwar lilnashr waltawzie , t 1 , 2008 , s: 92.
4. almasdar nafsih , sa: 28.
5. alriwayat / maerid muajal allawhat alththalithat , huzwan alwizarat , dar alfarabi - bayrut - lubnan / t 1, 2019, s: 26.

6. al'anthaa wamaraya alnasu – muqarabatan tawiliatan libalaghat alkhitab alnasawii almueasir , wajdan alssayigh , manshurat dar nynwa lilnashr waltawzie , t 1 , dimashq 1999 , s: 211.
7. hisasiat alnasi alqasasii – qadayaan washawaghil sardiat , faysal ghazi alnueaymi , aldaar alearabiat lileulum nashirun bayrut dar al'aman , t 1 , 2012 , s: 76.
8. albina' alfaniyu fi alriwayat alearabiat fi aleiraq – bina' almanzur – , d. shujae muslim aleani , dar alshuwuwn althaqafiat aleamat , j 3 , 2011 , s: 77.
9. alahsas bialnihayat – dirasat fi nazariat alqisat – , talif einad ghazwan w jaefar sadiq , t 1 , 1983 , s: 128.